المثالية والواقعية في اللغة
بين النظرية التوليدية ونظرية أفعال الكلام
دراسة تحليلية مقارنة

م.د. هيثم محمد مصطفى
قسم الفلسفة
كلية الآداب / جامعة الموصل

تاريخ تسليم البحث: ٢٠١٢/٥/١٥ ؛ تاريخ قبول النشر: ٢٠١٢/٦/٢٦

ملخص البحث:

تنحو هذه الدراسة منحا لسانيا جادا، بالعرض والمقارنة والتحليل ، لأبـــرز نظـــريتين تناولتا الظاهرة اللغوية من وجهتين مختلفتين، الأولى اتسمت بالمثالية فـــي شـــروط مظـــاهر تعاملها مع اللغة كفكرة مجردة عن سياق استخدامها الواقعي، وهي النظرية التوليدية التحويلية بزعامة نعوم تشومسكي، والثانية ارتسمت الواقعية في أغلب مناحي استعمالاتها الفعلية للغـــة، وهي نظرية أفعال الكلام التي تعود إلى مؤسسها جون أوستن.

ففيما برزت فكرة (الكفاءة) على حساب (الأداء) في النظرية التوليدية في ظل انطوائها على الكثير من الأفكار المثالية التي ترفضها اللغة في أصل واقعيتهـــا المـــستعملة، انطلقـــت نظرية أفعال الكلام بالتأكيد على(الأداء)، وبتركيزها على المغزى الفعلي الإنجـــازي للكـــلام خاصة، ومن هنا كان هدف البحث قائما في تبيان الوظيفة اللغوية والدلاليـــة المختلفـــة لكلتـــا النظريتين، والملامح التمييزية بينهما غاية واستعمالا .

Idealism and realism in language
Between the of neology and the of speech acts
A comparative analytical study

Lect. Dr. Haitham Mohammed Mustafa
Department of Philosophy
College of Arts / Mosul University

Abstract:

This study takes a serious linguistic a pproach, By presentation, Comparison and analysis, For two most prominent theories that deals with the phenomeuon of linguistic from two different directions, The first theory was characterized by idealism in terms of its dealing with the

language as a devoid idea from the context of realistic use, And it the trans formation neology of theory by Noam Chomsky, And the second theory was characterized the realism in the sides majority of her actual use for language that belongs to John Austin.

While the idea was a ppeared (the qualification) in theory of neology in spite of (the performance) in the theory of neology in spite of contain a lot of ideas that rejected by the language in the origin of her realistic used, The theory of speech acts started by emphasizing on (the performance). And its emphasis especial on the perfect actual signification for speech, And from here the goal for this research was exists to show the different linguistic and semantic features for both theories , And the discriminatory features between them objectively and use.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام علـــى سيدنا محمد خـــاتم الأنبيـــاء والمرسليـــــن، وعلى آله وأصحابه المنتجبين ، وبعد :

إن من المسلم به لدى الدارسين جميعا أن اللغة تمثل خصيصة إنسانية فريدة ، وهي وسيلة ناجعة في الاستخدام العلمي كما الاستعمال اليومي والاجتماعي ، فضلاً عن إنها وسيلة فعالـــة للتعبير عن الأفكار والمشاعر والمعتقدات ، تعكس من كل ذلك سمات وظيفية وجوهرية مـــن خلال إحالة استعمالها لعمليات التداول والتواصل المختلفة .

ونحن في هذه الدراسة نحاول الولوج والأخذ بطرف من هذه الوظائف اللغويـــة المتعـــددة بتناول نظريتين أو منهجين من مناهج الدرس اللغوي الحديث ، بالعرض والمقارنة والتحليـــل بالنظر إلى معالجتهما للظاهرة اللغوية وهما : النظرية التوليديـــة التحويليـــة بزعامـــة نعـــوم تشومسكيN. Chomsky ، ونظرية أفعال الكلام بزعامة جون أوستن J.Austin ، ذلك أن النظرية الأولى تعتمد النحو وعلم الدلالة أساساً لها ، وبالتالي تتعامل مع اللغة كفكرة مجـــردة عن السياق والاستعمال الفعلي ، ذلك أن القواعد التي يستخدمها المتكلم في ظل هذه النظريـــة تنطوي على الكثير من المثالية التي ترفضها اللغة في أصل واقعيتها المستعملة ، ومـــن هنـــا برزت فكرة (الكفاءة) على حساب (الأداء) عند تشومسكي ، لأن الأولى حالة نموذجية مثاليـــة تعتمد على القدرة في الأساس ، بينما الثانيـــة تعتمد على التحقق الفعلي للكلام كمـــــا هـــــو فـــي الواقع.

ومن فكرة (الأداء) انطلقت نظرية أفعال الكلام وأثمرت من خلال التأكيد عليها ، بتركيزها على المغزى الفعلي للعبارة اللغوية حيث تستعمل لإنجاز الفعل في الخـــارج ، وذلـــك عبـــر التمييز الذي قدمه أوستن بين ثلاثة أفعال تنجز عند النطق بالكلام وهي كما قسمه إلى: (فعـــل القول) و (فعل الإنجاز) و (فعل التأثير).

فالبحث إذن سيتناول رؤية هاتين المدرستين للظاهرة اللغوية، ولاسيما حينما ندرك أن نظرية تشومسكي تعالج في النهاية النظام اللغوي المجرد، وليس الكلام الفعلي المنجز كما يعالجه أوستن في نظرية أفعال الكلام .

هذا وقد اقتضت طبيعة البحث أن يقسم منهجيا إلى المباحث الثلاثة الآتية :

ـ المبحث الأول : المثالية اللغوية في النظرية التوليدية .

ـ المبحث الثاني : الواقعية اللغوية لنظرية أفعال الكلام .

ـ المبحث الثالث : بين يدي النظريتين (رؤية تحليلية مقارنة) .

وتجدر الإشارة إلى أن مفهوم المقارنة والتحليل سيعم جميع مباحث الدراسة ، بدءا من استنباط البواطن المثالية للنظرية التوليدية التي سيتعرض لها المبحث الأول ، والتماس الصورة الواقعية لنظرية أفعال الكلام في تأكيدها على اللغة المنجزة للجمل والعبارات في المبحث الثاني، والرؤية المقارنة الشاملة لأفكار المدرستين التي خصص لها المبحث الثالث.

المبحث الأول : المثالية اللغوية في النظرية التوليدية

شهد الفكر اللغوي بميلاد النظرية التوليدية التحويلية نقلةً نوعية وثورة لسانية في مسار علم اللغة الحديث، وأصبحت تشكل محل جدلٍ في البنى والمفاهيم والنماذج المثالية التي انطلقت منها هذه النظرية ، من القدرات الفردية المتاحة للإنسان في اكتسابه للغة، وسعيه نحو اكتشاف الحقيقة العميقة الكامنة للسلوك اللغوي ، وغيرها من التصورات والفرضيات التي سيأتي التركيز عليها خلال هذا المبحث ، حيث مثل الإطار الفلسفي لهذه النظرية سبيلاً لخلق النظام التجريدي للغة ، لتزيح بذلك الواقعية الفعلية لطبيعة الظاهرة اللسانية من طريقها، بتحويلها أي اللغة من مكون (الإنجاز) المتحقق المتداول ، إلى مكون (القدرة) في طور التجاوز والتوليد.

لا يحتاج البحث بحكم الطبيعة الفكرية واللسانية التي يقوم عليها ، الولوج إلى التفاصيل الدقيقة لهذه النظرية والبيان بإسهاب في التعريف بالمحددات والمرتكزات والقواعد التي اعتمد عليها في صياغة منهجه ، فالمدونات والمصادر اللغوية الحديثة قد استطردت في ذلك وصفاً وتعريفاً، لكننا سنحاول استخلاص المعالم المثالية التي أفصحت عنها النظرية التوليدية التحويلية بما تمثل المادة الأساسية لها والتي شكلت قاعدة الوصف اللغوي لديها.

وتتحدد هذه المفاهيم المثالية في النقاط الآتية[1] :

---

(١) ينظر: قضايا في علم اللغة التطبيقي : ميشيل ماكارثي ، ترجمة : عبد الجواد توفيق محمود :٢٢٩ ـ ٣٣٠ .

١_ الكفاءة اللغوية Linguistic Competence

٢_ البنية العميقة Deep Structure

٣_ فرضية آلية اكتساب اللغة Language Acquisition Pevice (الفطرية اللغوية)

والمخطط الآتي يوضح ذلك :

القواعد المثالية في النظرية (التوليدية التحويلية)

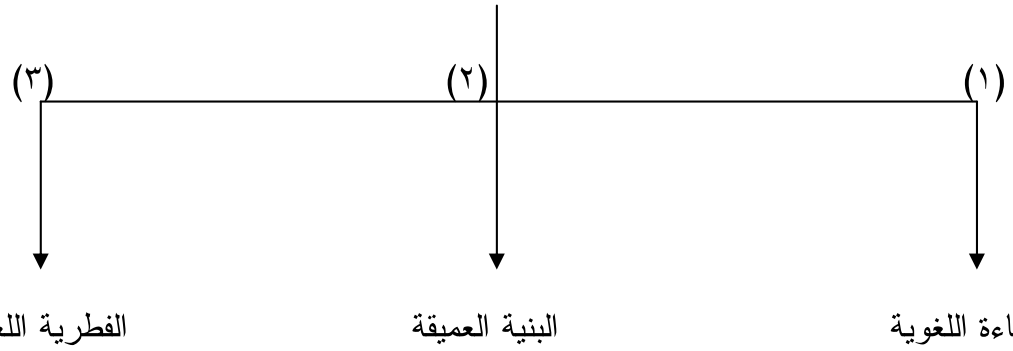

هذه الأسس الثلاثة تشكل في نظر البحث أبرز الطروحات المثالية والتجريد غير الواقعي للغة التي انطوت عليها هذه النظرية ، والتي أضحت منها نظرةً تجزيئية للغة بغياب واستبعاد المستويات والعناصر الأخرى في فهم الجمل والتراكيب كفكرة السياق مثلاً والموقف التواصلي الذي تؤدى خلالهما العبارة اللغوية ، وغيرهما من الملابسات الأخرى التي تحف بالكلام حين إنتاجه.

وعند النظر لكل واحدة من هذه القواعد أو المفاهيم التي انبنت عليها تلك المثالية اللغوية سنجد صفات من قبيل (اللامرئي) أو(اللامنظور) والمجرد و(اللامتناهي) وفكرة (الخلق) اللغوي و(الكلية) أو (الكونية) اللغوية المفترضة[١] ، تحكم وتسير عصب هذه المفاهيم في مستواها البنائي والوظيفي.

ولعل الطابع العمومي الذي طغى على هذه النظرية في أغلب توجهاتها التحليلية، واتباع طرق متنوعة لبناء سلاسل من العمليات العقلية لا حاجة لها أحياناً، وجعلها من تركيبة اللغة البشرية وبناء أنماط قواعدها وتضمناتها النفسية والفكرية، هو ما جعل من هذه النظرية اللغوية تحيد عن غايتها أحيانا وتستحيل إلى منطق فلسفي خارج لساني وواقعي يرجئ

(١) ينظر : المدخل إلى علم اللغة : كارل -ديتر بونتج: ترجمة وتعليق: سعيد حسن بحيري: ٢٤١ ــ ٢٤٢ .

بالنظام اللغوي عن تحديداته وأصوله الكلامي التواصلي المفروض[١] . وإذا كانت ثمة خصائص شكلية تمتلكها اللغة وتمارس تأثيراتها على تراكيبها وجملها ، فإن التصور الافتراضي لها بوصفه فكرة وهمية _ كما نجده في مضمون هذه المفاهيم الثلاثة _ منافية لمنطق الفعل اللغوي ، على عكس نظرية أفعال الكلام حيث السمة الإنجازية والتأثيرية التي تضفيها العبارة اللغوية للواقع حين إصدارها من المتكلم ، هذا النوع من السلوك الكلامي يزيح الصورة الكلاسيكية والاستاتيكية عن اللغة ، ويجعلها مناظراً ومحايثاً مع المألوف الديناميكي الواقعي.

أما الكفاءة اللغوية فنظراً لتأكيد تشومسكي بالدراسة والتحليل لبنية اللغة أكثر من استعمالها، أصبحت قواعد اللغة عنده وصفا للكفاية الحقيقية للمتكلم _ السامع المثالي _، وذلك بالكشف عن المقدرة اللسانية المشتركة بين جميع المتخاطبين التي تمكنهم من إقامة وفهم وبناء عدد غير منته أو محدود من الجمل والتراكيب الصحيحة قواعديا والتي لم تسمع من قبل، وهنا يصل بنا تشومسكي إلى فكرة (اللامتناهي) أو (النهاية المفتوحة) للحدث الكلامي كما ذكرنا، في مقابل إعطائه الوظيفة الثانوية للأداء Performance الذي هو الحدث العياني الواقعي للكلام ، فاللغة كفاية وقدرة ، والأداء تابع لها ، وكأننا بتشومسكي مع القاعدة الفلسفية الأفلاطونية المعروفة بـ (الماهية تسبق الوجود) ، فالكفاية تسبق الأداء وجوداً وهي التي تنشئه وتولده على صورته المرسومة قبلاً ، كما أن أثر الأداء الظاهر يفترض سلفاً وجود القدرة[٢] التي هي الكفاية الأصلية لبنية الكلام التحتية .

وبالرغم من أن تشومسكي ميز بين نوعين من الكفاية :

١_ الكفاية النحوية Grammatical Competence .

٢_ الكفاية التداولية Pragmatic Competence .

أي بين بنية اللغة المجردة بنظامها وقواعدها ، والكيفية الاستعمالية لهذه البنية من خلال ربط اللغة بالتواصل وبالمقام ، نقول بالرغم من هذا التفريق ولاسيما بعد بروز معطيات المنهج التداولي وبقوة ، والنسق المباين الذي أقامه بين نظام اللغة واستعمالها ، إلا أن إصرار تشومسكي تجاه فكرة (اللغة قدرة) وليس (إنجاز) أصبح متوجهاً نحو اعتناق الكفاية الأولى واستبعاد الثانية ، ليجعل من (الكفاية النحوية) وسيلة لضبط "تلك القواعد المحدودة العدد التي من شأنها أن تولد جميع الجمل الصحيحة غير المتناهية"[٣].

---

(٢) ينظر: جومسكي: جون لاينز: ترجمة : بيداء علي العبيدي و نغم قحطان العزاوي، مراجعة: سلمان داود الوسطي:١٤٢.

(١) ينظر: نظرية اللسانيات النسبية، دواعي النشأة : محمد الأوراغي : ١٤٣ .

(٢) أهم المدارس اللسانية: عبدالقادر المهيري وآخرون: ٧٦.

لقد سبب هذا التمييز بين (نهج القدرة) و(نهج الأداء) الكثير من الإشكالات ربما أهمها تجاوز الشكل الخارجي للغة إلى المستوى الداخلي العميق، ومن هنا لجأت النظرية التوليدية والتحويلية إلى سمة مثالية أخرى وهي الاستعانة بالحدس Intuition اللغوي، لتمييز ما هو صحيح قواعدياً وما هو بالعكس، وذلك للأشكال والصيغ المختلفة التي تنتجها الكفاءة اللغوية للمتكلم ، فعن طريق الحدس يستطيع المتلقي أو السامع الوصول إلى نية المتكلم القادر على إنتاج الجمل من جهة، وعلى إصدار الحكم والقرار بصحة أو خطأ ما يسمعه، ليتمكن بعد ذلك من استنباط القواعد والقوانين اللغوية من جهة أخرى(١) . فهذه النظرية المثالية التي أغفلت السياقات الفعلية لاستخدام اللغة يرجع الحكم عليها باعتبارها نظاماً مجرداً إلى التأثر بالفلسفة العقلانية، وهو ما يشار إليها غالباً من خلال علاقتها باللغويات الديكارتية(٢) Cartesian Linguistics .

أما مفهوم البنية العميقة Deep Structure فهي بنية صورية مجردة أيضاً، ولقد ميز تشومسكي في دراسته لجمل اللغة بين المظهر العياني الموجود بالفعل على هيئة جملة مخصوصة ينطق بها المتكلم ، وبينما هو مثالي غير مرئي مختبئ تحت هذا السطح اللغوي من علاقات منطقية تحكم العناصر التركيبية المكونة لهذه الجملة وهو يسمي هذا المظهر الموجود بالفعل البنية السطحية Surface Structure ، أما الشكل المثالي المجرد لتلك العلاقات المنطقية والموجود بالقوة فيسميه البنية العميقة(٣) .

إن هذه الصورة الذهنية للبنى العميقة لا تعطي وصفاً أو تمثلاً حقيقيا لمضمون ما يظهر على السطح ، وغالباً ما تأتي الجمل بوضعية معاكسة تفقد الأناقة والاتساق الداخلي المرموز إليه في العمق ، ويبدو السبب في ذلك أن " البنى السطحية نتيجة آلية وميكانيكية فقط لبنى كانت في الأعماق ودفعتها اللغة إلى السطح "(٤) ، فالاختلاف في طبيعتهما هو التباين الحاصل بين أسس التفكير المثالي للمعنى، والانعكاس الواقعي الذي تستجيب له الصيغة اللغوية بشروطها غير المتجانسة أحياناً مع الأصل.

ولعل الأساس الفلسفي الذي انطلقت منه هذه النظرية في اعتبارها اللغة عملاً عقلياً أو فكراً وتعبيراً ذاتياً، هو ما سوغ اصطناع هاتين البنيتين للغة، الأولى داخلية، والثانية خارجية، وكل جملة أو تركيب يجب أن يدرس ويتناول من الجانبين معاً، فالبنية العميقة هي تعبير عن

---

(١) ينظر : في نحو اللغة وتراكيبها، منهج وتطبيق : خليل أحمد عمايرة : ٦٠.

(٢) ينظر : قضايا في علم اللغة التطبيقي : ٧٢ .

(٣) ينظر : انفتاح النسق اللساني، دراسة في التداخل الاختصاصي : محيي الدين محسب ١١٠ .

(٤) الألسنية العربية : ريمون طحان : ١٤٤ .

الفكر، والبنية السطحية هي الشكل الفيزيقي الذي يظهر عليه التركيب بوصفه أصواتا ملفوظة ، ومن هنا جاء مصطلح النحو التحويلي الذي يهتم بالقوانين التي تحدد البنية التحتية وتربطها ببنية السطح[١] . وتبسيط ذلك بالمخطط الآتي :

أ – البنية العميقة ← الفكر (المعنى المجرد) ← الميتافيزيقي .

ب – البنية السطحية ← اللغة (الشكل الظاهر) ← الفيزيقي .

فالبنية العميقة إذن تعد أساس التفسير الدلالي للجمل ، أما البنية السطحية فليست لها أي تأثير للمعنى بذلك ، كما أن وصف هذه البنية لا يضيف شيئاً للنص ، وإنما هذا الوصف هو عبارة عن تفسير صوتي لمكون التوليد الأساس (البنية العميقة) ، والتي تتحول بدورها عبر مكون التحويل إلى بنية سطحية . والمخطط الآتي يوضح ذلك [٢]:

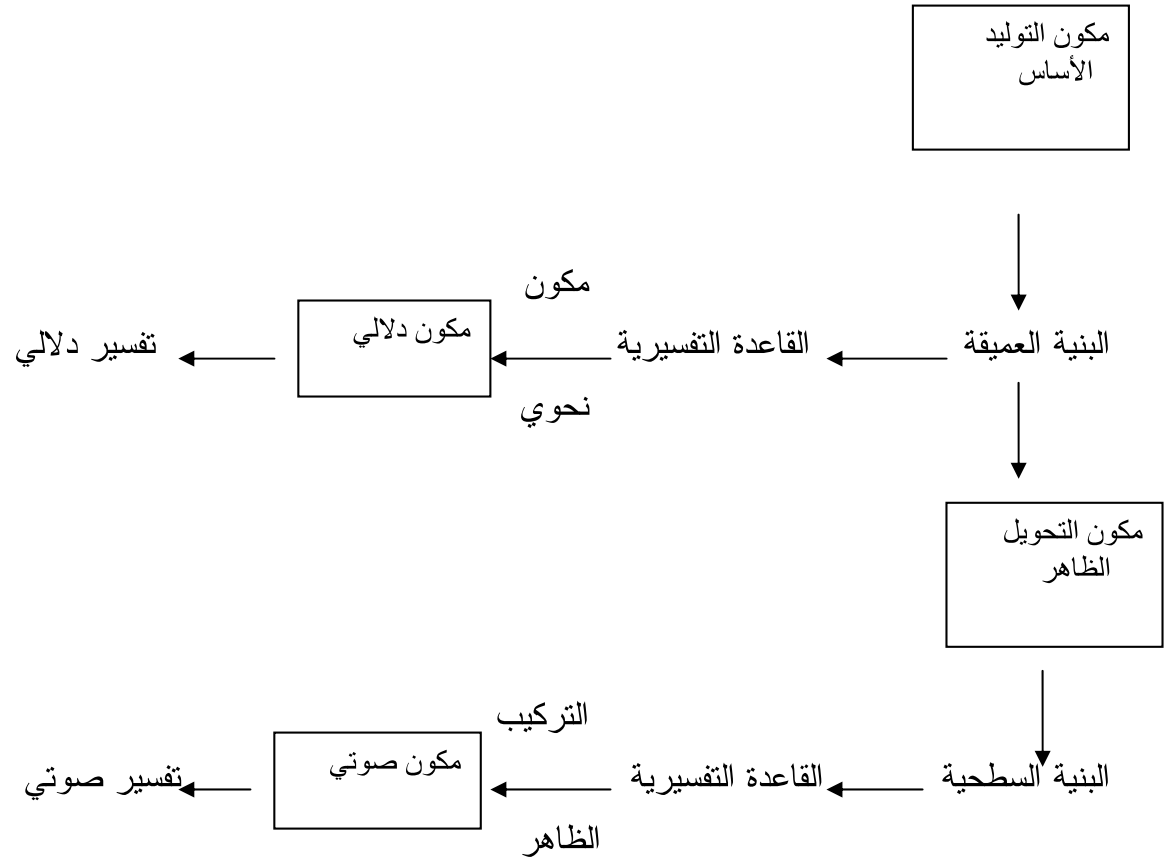

أما فكرة الفطرية اللغوية في ذهن الإنسان ، فقد انطلق تشومسكي في هذه المسألة من مفهوم

---

(١) ينظر : النحو العربي والدرس الحديث ، بحث في المنهج : عبدة الراجحي : ١٢٦ ـــ ١٢٧ .

(٢) ينظر : القضايا الأساسية في علم اللغة : كلاوس هيشن : ترجمة : سعيد حسن بحيري : ١٦٤ .

فرضية المحتوى content Approach ، ومؤدى هذه الفرضية أن عقل الطفل يحتوي على قدر كبير من المعرفة النوعية باللغة ، وأننا نولد ونحن مزودون بعقول مكيفة ومهيأة لاستعمال اللغة[١] ، ودون الخوض في تفاصيل هذه الفكرة المعروفة ، إلا أن الصورة المثالية تتضح في هذه النظرية اللغوية في التركيز على الجانب الخلاق Kerative في الاستعمال اللغوي الإنساني المختلف عن باقي الفصائل الحيوانية الأخرى ، وكذلك في اعتبار هذه الفرضية للقدرة العقلية للإنسان على إمكان إنتاج وفهم واستيعاب جمل كثيرة بشكل لا نهائي وغير محدود في لغته ، أي الجمل التي لم تسمع من قبل مطلقاً ، والتي لم ترد مطلقاً داخل جماعته اللغوية[٢] . هذه الملكة اللغوية المفتوحة والآلية الفطرية التي يولد بها الطفل ، لا ينبغي أن نحصرها فيما هو شكلي ونجردها من (المعنى) و (الفعل) ، بل إن الإنتاج الذهني عبر هذه الآلية المفترضة يكون بتنوعات لفظية متكاملة وبشكل لا متناهٍ ، ومن ثم يظهر أثر تلك العمليات العضوية على السطح الخارجي بالأصوات والكلمات والجمل ، وعن طريقها يتم المشاركة الكلامية والتفاهم بين المتكلم والسامع[٣] .

وهذه الفرضية المثالية المحتملة قادته إلى فرضية أخرى بما سمي بـ (مذهب الكلية أو الشمولية Universalismus) ، تلك المبادئ والقوانين اللغوية العامة التي تحكم شكل القوائم وطريقة عملها في أنظمة نحو اللغات، أو هو النموذج العالمي الذي يحدد بوجه عام شكل نحو ما وبنائه، هذه القواعد تخضع لها الجمل والتراكيب التي ينتجها المتكلم فيسعى بالاختيار ما يتصل بلغته من قوالب وأصول منتقاة من بين الأطر الكلية العامة في ذهنه، وهي كلية شمولية عالمية متساوية عند جميع البشر، كما أنها حتمية مفطورة مع الإنسان منذ ولادته، وهو ما يسميه تشومسكي بـ (وسيلة الاكتساب اللغوية Linguistic Acquistion Divice)، ومن ثم فإن فكرة (الكليات النحوية) هذه تقدم الأساس الحقيقي لما يطلق عليه النحو التوليدي بـ (الكفاءة اللغوية) ذات الاستراتيجية البنائية المفتوحة اللامتناهية[٤] . والمخطط الآتي يوضح سلسلة المناحي الافتراضية الثلاثة التي تضمنتها هذه القاعدة الأخيرة:

---

(١) ينظر : أساسيات اللغة : ر.ل.تراسك ، ترجمة : رانيا إبراهيم يوسف : ١٥٥ .

(٢) ينظر : القضايا الأساسية في علم اللغة : ١٥٣ .

(٣) ينظر : اللسانيات والبيداغوجيا ، نموذج النحو الوظيفي: علي آيت أوشان: ٣٧ . ونحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية : مازن الوعر : ٥٤.

(٤) ينظر : فهم اللغة ، نحو علم لغة لما بعد مرحلة تشومسكي : تيونيس مور و كريستين كارلنغ : ترجمة : حامد حسين الحجاج، مراجعة : سلمان داود الواسطي : ١٤٢.

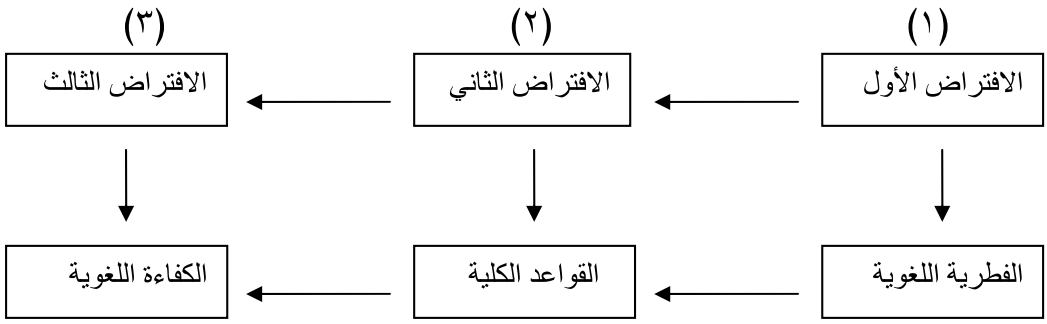

المبحث الثاني : الواقعية اللغوية لنظرية أفعال الكلام

إذا كانت التداولية تقوم عند مؤسسيها على عدد من النظريات الفرعية، فإن نظرية الفعل الكلامي شكلت النواة المركزية لها، فكانت سبيلاً لتأصيل القيمة البراغماتية للعمل اللغوي التداولي، والتي جعلت من طبيعة الحدث اللغوي حدثاً مؤثراً ومغيراً للعالم.

والواقعية اللغوية التي تبنى عليها هذه النظرية التداولية تتم من خلال إضافتها للجهاز المفاهيمي للغة أبعاداً وخاصيات جديدة أبرزها ربط اللغة بمحيطها أي بالواقع أو بالعالم، وذلك بإضافة مواضعات وتصنيفات تقنية مبتكرة للعبارات، فقد شهدت النصوص والتراكيب اللغوية دلالات مستحدثة وتقسيمات وقواعد انتظمت بموجبها مجمل العمليات التواصلية، كما تحولت وظيفة الظاهرة اللسانية من الوصف والإخبار إلى وظيفة الإنجاز، فالخلفية الإبستمولوجية التي انطلقت منها هذه النظرية ترفض أن يجعل أصحابها من اللغة مجرد وسيلة لتصوير وتمثيل الواقع، فيصبح مطلب اللغة هو الموافقة مع هذا الواقع ومن ثم المطابقة معه، عبر نقل معلومات عن العالم الخارجي أو تقديم تمثلات عنه[١]، بل إن هذه النظرية وعبر واقعيتها الفعلية تعيد تشكيل العالم من خلال اللغة، مستندة على أقصى حدودها الدلالية والوظيفية الممكنة وبالاعتماد على مفهوم (القوة الإنجازية) للألفاظ والعبارات، والمقصود بهذه القوة القصد الذي ينوي المتكلم إعطاءه لخطابه من خلال عملية الإنجاز[٢].

لقد غدت نظرية الأفعال الكلامية إحدى الأعمدة الأساسية لمبحث التداولية، وشكلت جزءاً رئيساً من بنيتها النظرية ، وأضحى من صميم أعمالها تنظيم العلاقة بين اللغة والاتصال حسب معطيات المقام ودلالات القصد الإنجازية التي توحيها الألفاظ والعبارات. وتنهض هذه النظرية كما يميز أوستن بطائفة من الأفعال الفرعية تشكل محور الفعل الكلامي الكامل، وهذه الأفعال الثلاثية هي:

---

(١) ينظر : الفلسفة وقضايا اللغة ، قراءة في التصور التحليلي : بشير خليفي : ٥٢.

(٢) ينظر : الحجاج في البلاغة العربية المعاصرة : محمد سالم محمد الأمين الطلبة : ١٨٣.

الفعل التعبيري Locutionary Act .
الفعل الإنجازي Illocutionary Act .
الفعل التأثيري Perloctionary Act .

والفعل الأول هو فعل القول أو الفعل اللفظي ، وهو النطق بجملة لها معنى وإشارة محددة، أما الثاني فهو فعل الإنجاز أو الفعل المتضمن في القول، ويراد به الحدث الذي يقصده المتكلم بالجملة ، فهو ينجز بذلك معنىً مقصوداً أو تأثيراً مقصوداً، أما الثالث فهو فعل التأثير أو الفعل الناتج عن القول ، وهو التأثير العملي للقول الذي يقوم به المتلقي ، وذلك بما يحققه القائل من نتائج وما ينجم عنه من تبعات تجاه المخاطب(١).

فـ (أوستن) ينطلق في هذا التمييز للأفعال اللغوية من عبارة (وضعية) تمثل الأساس الحرفي للجمل والنصوص أو الدلالة الأولية لها، وعبارة (إنجازية) تمثل الحمولة الواقعية للتراكيب باعتبار ما يصاحب المنطوق الأدائي من منطوق غرضي يشكل أساس التباين بينها وبين العبارة الأولى .

ففي الأمثلة الآتية تظهر واقعية الحدث اللغوي بصورة جلية ، من خلال ما يصاحبه من نتيجة وأثر صريح وواضح بعد النطق بالجملة :

- أعدك بأني سألقاكَ غداً .
- هل لك أن تفتح لي النافذة .
- لا تقترب من الأفعى فتلدغك .
- لقد أعلن افتتاح المعرض .
- كل ما تشتهيه نفسك .
- سأقوم بالرد على هذه الأسئلة .

فالوعد والأمر والطلب والتحذير الواردة في هذه التراكيب كلها لا تعبر عن الإخبار أو الوصف ، ومن ثم فهي جمل لا تقصد المطابقة مع الواقع ، وإنما تتعالى على الواقع بتحريكه وتغييره وإعادة ترتيبه ، ويأتي هذا عبر التأكيد من قبل هذه التراكيب على المغزى الفعلي للكلام حيث تستعمل لإنجاز هذه الموضوعات المذكورة ، ضمن الظروف التي يتم فيها التلفظ والمقام الذي يصدر عنه .

فالمنحى الواقعي الملموس والمتعامل به في هذا النمط اللغوي يؤكد على القدرة التداولية، ضمن العلاقة القائمة بين الأغراض التواصلية والوسائل اللغوية التي تتحقق

---

(١) ينظر : نظرية أفعال الكلام: جون أوستن ، ترجمة : عبدالقادر قنيني : ١٢٣ ، والتداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي: مسعود صحراوي : ٤١ ــ٤٢ .

بواسطتها هذه الكفايات والقدرات التأثيرية والتغبيرية للعالم ما بعد التلفظ [١] ، وعلى وفق هذا المفهوم تكون اللغة ممثلة بالفعل الكلامي عبارة عن أداة ، إلا أنها تتجاوز أداتيتها لتندمج بالفرد وتدرجه في سياقها، وهذا التجاوز يلغي فكرة أنها مجرد أداة لتنظيم الحياة اليومية وإقامة الصلة فيما بين المخاطبين ، أو أنها مجموعة من الرموز أو العلامات الثابتة، بل يؤكد أنها قوة فاعلة بإنجاز المهام الكبرى والضرورية في حياة الإنسان، على أنه ما كان للغة أن تصبح لها هذه الوسيلة الناجعة لو لم يكن استعمالها مبنياً على الاستخدام الفعلي الأمثل لوسائل الحياة المختلفة بغية التوصل إلى النتائج [٢] . وهذا الاستلهام الإيجابي للغة بالحركة الفعلية المنسوبة لها والتي من شأنها أن تغير وضع الاستقرار لكثير من الأشياء في الواقع قبل النطق بها، هذه النظرة البراغماتية التي تجعل من اللغة مؤسسة نفعية وترفض استقلاليتها عن الأداء الوظيفي في الخارج ، تلغي فكرة الدور الأحادي للغة كما ذكرنا، بل تسعى دائماً إلى إلغاء هذه الناحية الشكلية منها ، وتركز على دورها المحوري والمركزي بالخصائص المتعددة التي تمتلكها في حياتنا من اجتماعية وعرفية ومؤسساتية وغيرها.

فوظيفة اللغة على وفق هذه النظرية لا تقتصر مهمتها على نقل وإيصال المعلومات وإرسالها، أو التعبير عما تكِنه ذواتنا من أفكار وما يجيش في صدورنا من مشاعر وأحاسيس يتم إظهارها، وإنما يجب أن تضطلع اللغة بدور أهم من ذلك كله، هو تحويل هذه الأقوال في إطار ظروف سياقية معينة إلى أفعال ذات سمات اجتماعية واعية تمتلك أثرها ومقصدها في الواقع[٣] . وهذه الترجمة الفعلية للسلوك الكلامي التي تؤكد عليها هذه النظرية تحت مسمى الأثر اللغوي والإنجاز الذي يسم الألفاظ والعبارات، مبعثه خلق شرط تكويني تواجدي للغرض الذي تنطلق منه اللغة بتعبير أوستن [٤] ، وبالصيغة الأدائية المخصوصة التي تتوسل بها من خلال إبراز مدلولاتها الإجرائية المختلفة في التغييرات العملية التي تحدثها في طريقها . فالجملتان الآتيتان:

- **لقد حدد موعد نتائج الامتحانات .**
- **لقد أعلن موعد تسليم الجوائز .**

عند التدبر للجملتين بكشف الغاية والغرض للفعلين الكلاميين (حدد) و(أعلن) ندرك أثر الدلالة الإيجابية والسلبية لكلا الفعلين في نفوس متلقيه بالإنجاز الذي سوف يتحقق منهما والتأثير الناتج عنهما، ولاسيما إذا كان متلقي الخطاب الأول ممن هو في شك من مصيره

---

(٢) ينظر : التداولية والسرد : جون ــ ك آدمز ، ترجمة : خالد سهر : ٩٦ .

(١) ينظر : دراسات في تحليل الخطاب غير الأدبي : بشير إبرير : ١٠٥ .

(٢) ينظر : المدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه : محمد الأخضر الصبيحي : ٤٩ .

(٣) ينظر : التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد : صلاح إسماعيل عبد الحق : ١٩٩ .

بالنتائج السيئة التي سوف تترتب عليه بعد ذلك من الإخفاق في الامتحان وما يليه . عكس متلقي الخطاب الثاني إذا كان ظرف المقال يسير ضمن طموحه وتوقعاته الإيجابية ، فمن الضرورة أن تكون نتيجة أثر الفعل الكلامي في نفسه إيجابياً ، ومن ثم فإن تفعيل إنجاز الخطاب يبلغ كفاءته التداولية بالصورة الوظيفية الملاءمة . ومن هذا الاستنتاج البسيط نبلغ حقيقة مفادها أن للفعل الكلامي إنجازا واحدا وآثارا متعددة ، ويأتي هذا التعدد من الهيمنة الواقعية التي يمارسها هذا النمط من الحدث الكلامي على المخاطب، فتكون بين واقعية صريحة مثل القيام بعمل ما، ونفسية تدفع للتعالي أو للإحباط، أو شعورية تدعو للحب أو للكره وهكذا، وقيمة هذا التعدد ومداه يعتبر الجانب الأساسي (الفعلي) في اللغة التداولية متمثلةً بـ (نظرية الفعل الكلامي) ، كما أن هذا التعدد في الأثر هو سبيل الخطاب العادي اليومي ونتيجة من نتائجه التي تتشتت فيه الدلالة القصدية أحياناً فتتجاوز مغزاها وغايتها لأكثر من جهة.

وكتكملة لما جاء به أوستن ، ينقلنا جون سيرل J.searle إلى تصور جديد منحه لهذه النظرية بإضفاء المزيد من الواقعية الفعلية للخطاب اللغوي وذلك تحت ما سماه بـ (أفعال الخطاب) بتقسيمه الكلام إلى خمس مقولات رئيسة هي على الترتيب الآتي [١] :

- الفعل الإثباتي أو التقريري Assertif Act وبه يتبين المخاطب كيف هي الأشياء في صورتها الحقيقية .
- الفعل التوجيهي Directif Act ويحاول المتكلم خلاله أن يجعل الآخرين يقومون بفعل شيء ما.
- الفعل الوعدي Promissif Act وفيه يلزم المتكلم نفسه بفعل بعض الأشياء التي نطقها.
- الفعل التعبيري Expressif Act وهذا الفعل وسيلة للتعبير عن شعورنا وعواطفنا وانفعالاتنا وعن سائر مواقفنا .
- الفعل الإخباري Declaratif Act وهو ما يؤدي خلاله القول اللغوي من إحداث تغييرات في العالم أو الواقع .

---

(١) ينظر : نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب : طالب سيد هاشم طبطبائي :٣٠ ــ ٣٢ ، ونحو علاقة جديدة بين اللسانيات ومناهج تحليل النص الأدبي ــ ملاحظات حول تحليل لغة النص ــ : مصطفى غلفان ،حوليات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، العدد الثالث ،١٩٨٦م :٩١ .

إضافة إلى ذلك وبمزيد من التقسيم والتوضيح فقد صنف سيرل النصوص والتراكيب من حيث الأفعال اللغوية المصاحبة لها ، إلى صنفين أساسيين [١] :

١- تراكيب يصاحبها فعل لغوي واحد .

٢- تراكيب يواكبها أكثر من فعل لغوي (اثنين على الأرجح) .

وفي حالة مواكبة الجملة فعلين لغويين ، يميز سيرل هنا بين الفعل اللغوي المباشر (الصريح)، والفعل اللغوي غير المباشر ، أي المفاد معناه من السياق أو المقام، وهذا المعنى غير المباشر (المتضمن) يمكن استدلاله من المثال الآتي :

- يقول المتكلم (س) هل لك أن تزورني الليلة ؟

- يرد المخاطب (ص) عليَّ النوم مبكراً لأسافر غداً .

فالمخاطب (ص) في هذه المقولة أنجز فعلين كلاميين أحدهما مباشر (صريح) ، وهو الإخبار عن نفسه بالنوم مبكراً للسفر غداً ، وثانيهما غير مباشر (متضمن) وهو رفضه دعوة المتكلم (س) بتلبية الزيارة عنده في بيته . والمخطط الآتي يوضح ذلك:

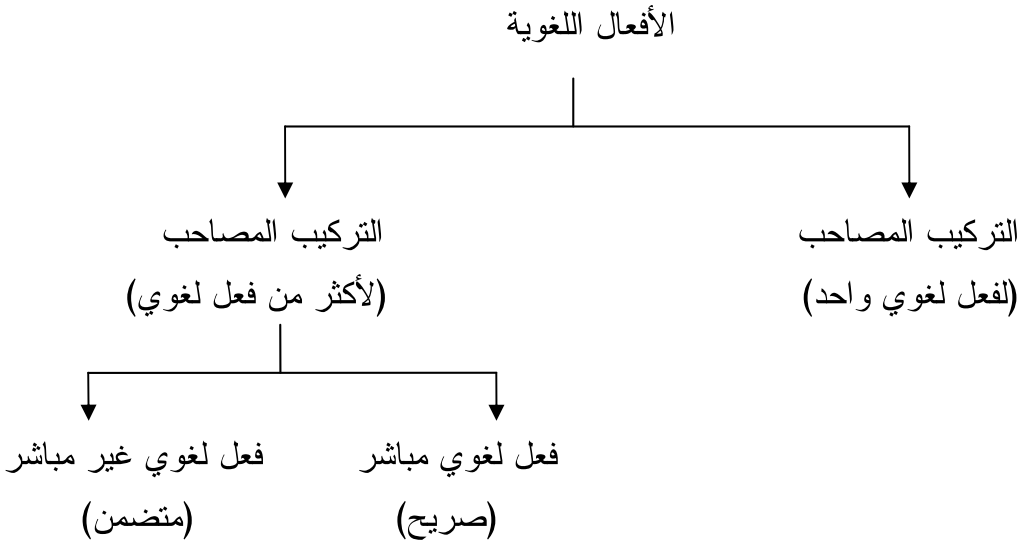

فالفعل اللغوي الكلامي ومن خلال المقاصد الإجرائية التي توحي بها مدلولاته على الواقع خاصةً، يضفي على الحدث اللغوي ديناميكية مستمرة يستقل بنفسه للوظيفية الإنجازية، وهذه التجربة اللغوية الفريدة يتموضعها الخطاب بنيةً ودلالة، فليست البنى كلها صالحة ومتمكنة لخلق هذا الاعتبار الواعي للوجه الأدائي الذي تحتويه اللغة بقدراتها التصنيفية في

---

(٢) ينظر : العقل واللغة والمجتمع ،الفلسفة في العالم الواقعي: جون سيرل :٢٠٩ ، واللسانيات والبيداغوجيا : ١٣٥ ، والمفارقة القرآنية ، دراسة في بنية الدلالة : محمد العبد : ٢٦ ــ ٢٧ .

ارتباط الحدث الكلامي بالوجود أو الواقع وتمييزه عن البنى الدالة الأخرى، هذا على صعيد البنية، أما على صعيد الدلالة فإن الفعل اللغوي فضلاً عن الحدث الإنجازي الذي يحققه في الخارج ، فإن البعد الوظيفي للقول أو الخطاب من خلال ربط الدلالة بالبنية التفاعلية والتحاورية للمجتمع هو الفيض اللغوي الإفادي الآخر لهذه النظرية انطلاقاً من التصور الواقعي وفكرة العلاقات الموضوعية عكس المثالية المعتمدة في النظرية التوليدية والتحويلية، وقد رأينا من تجربتي أوستن و سيرل أبرز مؤسسي هذه النظرية كيف أنهما تجاوزا المبدأ التوليدي المثالي للغة نحو المبدأ القصدي التداولي، الذي يحرص على المظهر التفاعلي والتواصلي للظاهرة اللغوية بصورة خاصة، وهو ما يؤكد وجودها الواقعي البحث من بين النظريات اللسانية الأخرى الفارقة لها في الرؤية والمنهج .

المبحث الثالث : بين يدي النظريتين، رؤية مقارنة

تبين من جوهر مفهوم النظرية التوليدية إحداثها قطيعة نوعية مع طرق التفكير والنظر اللغوي، نتيجة اتصالها بالبعد الميتافيزيقي، واعتمادها على المتخيل لا المنظور من الظاهرة اللغوية. على عكس نظرية أفعال الكلام التي ركزت على الجانب التداولي الإنجازي من القول، واهتمت بالبعد الوظيفي(الغرضي) للنص والتركيب، واستبدلت (الكفاءة النحوية) لدى التوليديين بـ(الكفاءة التواصلية) وبالقوة المتضمنة للكلام بين المتخاطبين، لذا فإن هذه النظرية قد تجاوزت التساؤل التقليدي عن معاني الألفاظ ودلالتها في النص إلى التساؤل عن حيثيات هذه الدلالة ومغزاها من خلال الاستعمال الفعلي لها في مقام تواصلي مميز ومحدد[1] ، كما أصبحت الدلالة القصدية للخطاب هي الحافز وراء عملية النطق، وليس النص أو الخطاب بوصفه معطىً إخبارياً وإعلامياً للمتلقي والوظيفة الأساسية للكلام.

وإذا ما دققنا النظر إلى الأسس المثالية للنظرية التوليدية لألفينا تغايراً ملحوظاً عن الأسس الواقعية لنظرية أفعال الكلام اللغوية من حيث (الموضوع، والهدف، والمنهج).

(١) ينظر : من قضايا الفكر اللساني في النحو والدلالة واللسانية : صابر الحباشة : ٢٣ ، ومدخل لفهم اللسانيات : روبير مارتان، ترجمة : عبدالقادر المهيري : ١٣٩ .

وفيما يلي توضيح وبيان لأسس التغاير المذكور للنظريتين بهذا المخطط قبل التفـصيل في ذلك : -

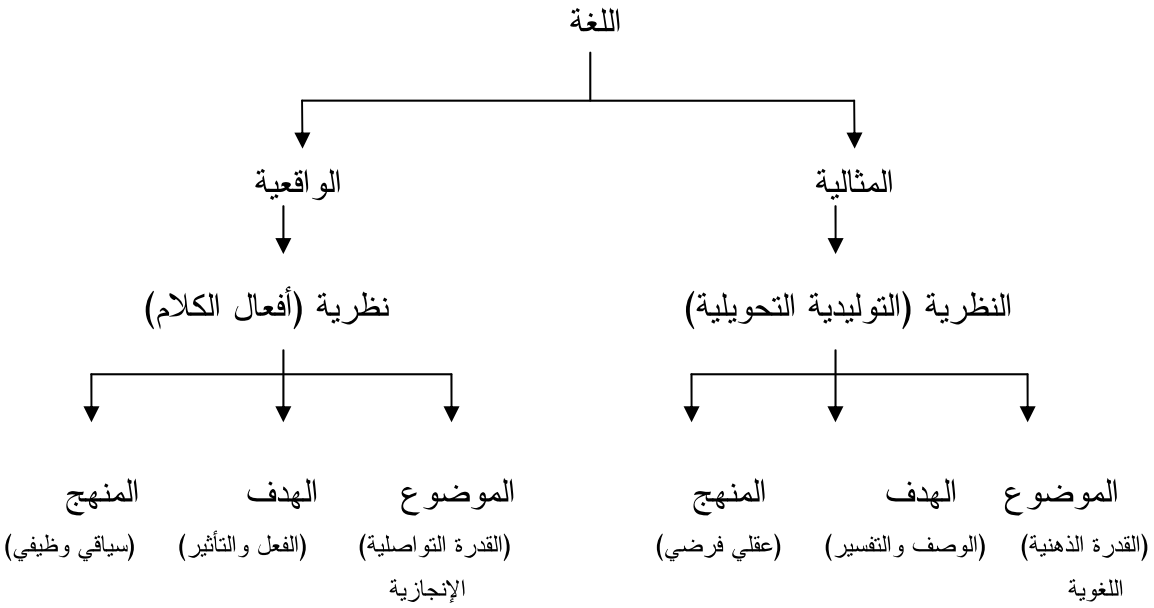

أما من حيث (الموضوع) فقد انطلق النحو التوليدي من القدرة التي يمتلكها متكلمو اللغة الأم لابتكار جمل غير متناهية وهو ما سمي بـ (الإبداع اللغـوي Linguistic Greativity) أو الجانب الإبداعي في استخدام اللغة[١]، أي القدرة على إنتاج نـصوص وتراكيـب مختلفـة وتفسيرها، وكانت هذه النقطة بالذات قد أثارت فرقاً حاسما بين أنظمة الاتصال عند الإنـسان من تلك التي يستعملها الحيوان، لذا يقول تشومسكي بهذا الصدد : " إن هذا الجانب الإبـداعي في الاستخدام اللغوي الاعتيادي يعد عاملاً أساسياً وحاسماً يمكن بها التفريق بين اللغـة التـي يستخدمها الإنسان وبين أي نظام معروف آخر يستخدمه الحيوان "[٢] . وبغض النظر عن هذا البناء والرؤية غير المألوفة لنظام القواعد النحوية التي أضفتها هذه النظرية على ظاهرة إنتاج اللغة، إلا أن هذه السمة المثالية للقدرة الذهنية الخلاقة تبقى محل إثارة ونظـر، ناهيـك عـن النزوع الذي انطلقت وآمنت به هذه المدرسة من حيث القـدرة الخلاقـة للمـتكلم النمـوذجي ومعرفته بقواعد اللغة، إلى الحالة الصورية للغة كنظام واستعمال دون التركيز على المغـزى الفعلي للكلام، ولاسيما أن اللغة " لا تدرس كنظام من العلاقات النحوية والشكلية بـل كمعـانٍ ووظائف يستخدمها المتكلم للتعبير عن المغزى الكلامي الذي يحدده العرف ومقاصد المـتكلم

(١) ينظر :اللسانيات ، اتجاهاتها وقضاياها الراهنة : نعمان بوقرة : ١٣٩ .

(٢) فهم اللغة : ١٤٢ .

وليس التراكيب النحوية "[١] . فالبنية السطحية للغة ليست مثار غاية التوليديين ولا يوجهون العناية نحوها بصورة متوازية مع البنية العميقة ، وإنما يتركون بناءها على حالته التي يظهر عليها، عكس نظرية أفعال الكلام التي كان موضوعها الأساس هو ظاهر الإنجاز المتحقق للغة مع خلق الوظيفة التواصلية لها ومراعاتها سياقياً من خلال تمرير هذه السمة بربطها بشرطها الاستعمالي التداولي من الزمان، والمكان، وهيئة المتكلم والمخاطب، والوضع الاجتماعي[٢].

ثمة ملحوظات أخرى تنبغي الإشارة إليها تتعلق بجانب (الموضوع) المختلف فيه بين النظريتين، من ذلك أن النحو التوليدي وعلى وفق مبدأ (الخلق) الذي يظهر جلياً في استعمال اللغة، بالكيفية المستخدمة في الأسلوب الخلاق للحياة الاعتيادية، قد قطعت الطريق أمام رؤية أصحاب أفعال الكلام والنظرية الوظيفية الاجتماعية عموماً في انطلاقهم بدراسة الكلام في سياقه الاجتماعي عبر الفعالية المشتركة الحاصلة بين المخاطِب والمخاطَب. ونقطة أخرى تظهر في سياق الحديث عن (الموضوع) كذلك هي المبادئ الكونية أو الكليات النحوية التي لجأ إليها تشومسكي، ويظهر النقد والاعتراض على هذه الفكرة أيضاً في أنه لا يتبين على وجه اليقين والدقة ما إذا كانت كل اللغات قاطبة على وفق النظرة التوليدية مشتقة فعلا من مصدر واحد [٣]. وإذا كان ذلك كذلك فيبدو أن هذه النظرية كانت مؤمنةً حقاً بأن المباني عالمية ومشتركة كحال المعاني في اشتراكها وتواردها على الأذهان، وأنها قادرة على تراكيب عقلية والعمل عليها في سياق إنتاج الجمل والتراكيب وتوزيعها وتحليلها من وإلى المخاطَب.

وإذا كان المتكلم بسمته المثالية هو محور بناء التوليديين باعتباره النموذج المنتج للكلام، فإن التداولية ممثلةً بأفعال الكلام بفضل تساؤلها اللساني السياقي، من هو المتلقي؟ وما هي مقصديتنا أثناء التوجه إليه بالكلام؟ أصبح المتلقي بذلك منزع الإذكاء والتفاعل معه خطابياً وحوارياً فضلاً عن قيمتي (الإنجاز والتأثير) اللذين هما مدار الركيزة الواقعية والموضوعية التي تتبناها هذه النظرية في نشاطها التداولي ، والتي تظهر فاعليتها وإجرائيتها عند المخاطَب بصورة خاصة.

أما (الهدف)، فالأساس اللساني الذي انطلقت منه هذه النظرية هو وصف الكفاءة اللغوية لمقدرة المتكلم المثالية العميقة، وتفسير الواقع السطحي للغة بالأبنية الظاهرة المنتجة من عمليات التوليد، وعلى هذا الموقف الغائي لهدف هذه النظرة تكون اللغة في إطارها مجموعة من الجمل والتراكيب ينتجها النحو، وتبدو فيه شكل الجملة وصورتها وكيفيتها هي المقصد

---

(٣) نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي الإسلامي : هشام عبد الله الخليفة : ٢١٧ .

(٤) ينظر : اللسانيات والبيداغوجيا : ٤١ .

(٣) ينظر : في اللسانيات العامة : مصطفى غلفان : ٢٠٢ .

الأساس في قضية التحويل، وتؤدي فكرة النحو الذي يجسد مبادئ صياغة الجمل وتفسيرها دوراً حاسماً في بيان وشرح إنتاج المنطوقات غير المألوفة واستيعابها، والحكم عليها بأنها صحيحة نحويا أو غير صحيحة[١] ، هذا هو الجانب الأول من هدف النظرية، أما الجانب الآخر فهو التشديد على فكرة النهايات المفتوحة للغة البشرية عبر نظامها الشكلي المنتج ذي الطابع العمومي ، ليؤسس عبر هذا الهدف احتمالية مطلقة للأوصاف النحوية في الوصول إلى تفسير أمثل للقواعد النحوية من خلال إيجاد خصائص لغوية كلية تجمع كل اللغات قاطبة[٢].

وبالرغم من هذا يظل التركيز من قبل هذه النظرية على جانب القواعد الشكلية، باستخلاص موضوع ألسني خاص معزول عن الاستخدام اليومي العام، على عكس النهج التواصلي التداولي الذي ركزت عليه أفعال الكلام، وهو هدف يحمل مغايرة كبيرة لا تتماثل درجة ونوعاً مع الرؤية التوليدية للظاهرة اللغوية ، فتسعى أفعال الكلام بالغاية التي ترسو إليها لتحقيق الفعل الإنجازي فيما نتفوه به فعلاً، حيث تتوسم المزاوجة باستثمار العلاقة الاتصالية للكلام مع ظروفه السياقية ومع الفعل الغرضي للتعبير مقرونا بالفعل التأثيري [٣]، هذا النهج الواقعي في استعمال اللغة من خلال إحداث أشياء في الخارج عبر المنطوقات أو الملفوظات يبين أن دائرة التأثر والتأثير بين المتخاطبين تختزل بالفعل الأدائي، الذي يحدد المعنى عبر (القوة) التي يخلقها بالكلمات ، متضمنة شروطاً تكوينية وذرائعية مؤسسة بمقاصد ومحددات مستندة على تحليل الوقائع وتحليل عمليات الكلام ضمن صلتها بسياقاتها الفعلية الإنتاجية، وحصر وظيفتها ومغزاها بمسألتي الإنجاز فالتأثير.

أما (المنهج) فإن طبيعة الموضوع في كلتا النظريتين هي التي تحدد منهجهما، فقد رأينا في النظرية التوليدية كيف أن الكفاءة بمفهومها النحوي المثالي المجرد والقدرة الذهنية الخلاقة التي تحدثوا بها، وهي إشارة واضحة لدى رأي البعض إلى نظرية المثل الأفلاطونية التي لا وجود لها فعلا على أرض الواقع، وهي أيضا سمة تعطي لنفسها رؤية منهجية مغايرة في حق إنتاج المادة والتنظير لها في آن واحد [٤] . فالتوليدية لذلك بمنهجها العقلي الفرضي ترتكز إلى معرفة القواعد اللغوية المضمرة التي يقوم عليها السلوك الكلامي، باعتبار العقل المصدر الوحيد لمعارفنا وفيه تكمن النظرية الاستنباطية لبنية اللغات الإنسانية، وتقرير هذا المنحى

---

(٢) ينظر : علم لغة النص ، المفاهيم والاتجاهات : سعيد حسن بحيري : ٤٥ .

(٢) ينظر : اللسانيات والدلالة ، الكلمة دراسة لغوية : منذر عياشي : ١٥٣ .

(٣) ينظر : التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد : ١٩٦ .

(٤) ينظر : انفتاح النسق اللساني : ٨٨ .

بفضل العقل الذي يخزن في ذاته هذه التمثلات الأولية للمعرفة[١]. على عكس الانطلاقة المنهجية الواقعية والرؤية التداولية التي رسمتها أفعال الكلام حول اللغة، حيث يعد معيار العمل أو النتائج دليلا على صحة الفكرة هذا على مستوى الواقع، أما على مستوى القصد اللساني فيعد حضور السياق ورعاية الموقف Situationlity أو ما يطلق عليه بالمقامية [٢]، هاتان السمتان تعطيان للتداولية عموما ولنظرية أفعال الكلام خصوصا أهمية بالغة وقيمة حضورية راسخة بالنسبة للمنهج الفعلي الأدائي تعكس الخواص الوظيفية للغة والفعل التواصلي القائم، وبكيفية تتباين عن رؤى المدارس المنهجية الأخرى الذين حصروا الفعل اللغوي في سلوكيات وغايات خارجة عن نطاقها النسقي المتمحور فيه.

بقي أن نقول في صدد الإطار المنهجي ، أننا نكتشف فرقا مسلكيا واضحا بين المنظور اللغوي والواقع اللغوي، وما دمنا نتغيا هنا المقارنة بين النظريتين، يكون جوهر الكفاية التفسيرية في النظرية التوليدية في وصف قدرة المتكلم اللغوية محاكاة تجريدية لموضوعها، بما هي أداة لوظائف ذهنية للغة وفرضيات انطلوجية تفسيرية حول خصائصها ومكوناتها، وقد استلزم هذا الموقف اعتبار اللسانيات التوليدية نموذجا للنظرية التي تتبنى المعنى الصوري والمسار العقلاني المثالي للغة [٣]، والتي لا تقترب فتتسق مع الدقة والوضوح الذي نشهده مع الخاصية الفعلية الإنجازية للخطاب في ضوء نظرية أفعال الكلام ، وإن كانت السمة النقدية قد شهدت حضورا جليا لبعض مفاهيم هذه النظرية أعني أفعال الكلام وذلك كمفهوم السياق العرفي ، إضافة إلى قصرها التمييز بين أفعال التلفظ الثلاثة وحصرها على النتاج اللغوي فحسب ، دون إشراك منها لأنظمة التواصل الأخرى غير اللغوية في بعض الأحيان، وبذلك يضحى مفهوم العرف لديها والمرتبط بالسياق خاصة مفهوما عائما غير محدد الملامح، وفي مدى اعتبار قوة القول أو الكلام ذي صلة قصدية مع المفهوم، أم أن الأمر معه يتعدى ذلك أيضا إلى إحداث أثر أو نتيجة في الخارج [٤].

---

(١) ينظر: فعل القول من الذاتية في اللغة: ك ــ أوريكيوني، ترجمة: محمد نظيف: ١٣، واللسانيات والدلالة: ١٤٣.

(٢) ينظر : المقاربة التداولية : فرانسواز أرمينكو ، ترجمة : سعيد علوش : ٤٨ .

(٣) ينظر : قضايا إبستمولوجية في اللسانيات : حافظ اسماعيلي علوي ، امحمد الملاخ : ٨٦ ــ ٨٧ .

(٤) ينظر : العقل واللغة والمجتمع : ٢٠٥ ــ ٢٠٦ .

الخاتمة

١- تتحدد المعالم المثالية في النظرية التوليدية في المفاهيم الآتية: الكفاءة اللغوية، والبنية العميقة ، والفطرية اللغوية ، تمثل هذه الأسس الثلاثة في نظر البحث أبرز الطروحات المثالية والتجريد غير الواقعي للغة التي انطوت عليها هذه النظرية، والتي أضحت منها نظرةً تجزيئية للغة بغياب واستبعاد المستويات والعناصر الأخرى في فهم الجمل والتراكيب كفكرة السياق مثلاً والموقف التواصلي الذي تؤدى خلالهما العبارة اللغوية ، وغيرهما من الملابسات الأخرى التي تحف بالكلام حين إنتاجه .

٢- يتقاسم المعنى الميتافيزيقي والمعنى الفيزيقي ، ما بين البنية العميقة التي تشكل الفكر أو المعنى المجرد، فيما تمثل البنية السطحية الشكل الظاهر المنتج للغة ، وذلك طبقا للأساس الفلسفي الذي انطلقت منه هذه النظرية في اعتبارها اللغة عملاً عقلياً وفكراً وتعبيراً ذاتياً، وهو ما سوغ اصطناع هاتين البنيتين للغة، الأولى داخلية ، والثانية خارجية ، وكل جملة أو تركيب يجب أن يدرس ويتناول من الجانبين معاً، فالبنية العميقة هي تعبير عن الفكر، والبنية السطحية هي الشكل الفيزيقي الذي يظهر عليه التركيب باعتبارها أصوات ملفوظة، ومن هنا جاء مصطلح النحو التحويلي الذي يهتم بالقوانين التي تحدد البنية التحتية وتربطها ببنية االسطح.

٣- تظهر الأصول الواقعية لنظرية أفعال الكلام من خلال مفهوم (القوة الإنجازية) للألفاظ والعبارات، وهي تلك المعاني والمدلولات التداولية التي ينوي المتكلم إعطاءها لخطابه من خلال تفعيل الواقعية الإنجازية المضافة إليه . وتتحدد وظيفة اللغة على وفق هذه النظرية بأن مهمتها لا تقتصر على نقل وإيصال المعلومات وإرسالها ، أو التعبير عما تكِنه ذواتنا من أفكار وما يجيش في صدورنا من مشاعر وأحاسيس يتم إظهارها، وإنما يجب أن تضطلع اللغة بدور أهم من ذلك كله، هو تحويل هذه الأقوال في إطار ظروف سياقية معينة إلى أفعال ذات سمات اجتماعية واعية تمتلك أثرها ومقصدها في الواقع.

٤ - الفعل اللغوي في نظرية أفعال الكلام ومن خلال المقاصد الإجرائية التي توحي به مدلولاته على الواقع خاصةً ، يضفي للحدث اللغوي ديناميكية مستمرة يستقل بنفسه للوظيفية الإنجازية، وهذه التجربة اللغوية الفريدة يتموضعها الخطاب بنيةً ودلالة، فليست البنى كلها صالحة ومتمكنة لخلق هذا الاعتبار الواعي للوجه

الأدائي الذي تحتويه اللغة بقدراتها التصنيفية في ارتباط الحدث الكلامي بالوجود أو الواقع وتمييزه عن البنى الدالة الأخرى، هذا على صعيد البنية، أما على صعيد الدلالة فإن الفعل اللغوي فضلاً عن الحدث الإنجازي الذي يحققه في الخارج، فإن البعد الوظيفي للقول أو الخطاب من خلال ربط الدلالة بالبنية التفاعلية والتحاورية للمجتمع هو الفيض اللغوي الإفادي

الآخر لهذه النظرية انطلاقاً من التصور الواقعي وفكرة العلاقات الموضوعية عكس المثالية المعتمدة في النظرية التوليدية والتحويلية.

٥ - توصل البحث إلى أن أهم الأسس المقارنة بين النظريتين تتمثل في (الموضوع) و(الهدف) و (المنهج)، فـ (الموضوع) في النظرية الأولى ذو قدرة ذهنية مجردة، بينما في الثانية ذو قدرة تواصلية إنجازية، أما (الهدف) فهو الوصف والتفسير في نظرية التوليد والتحويل، بينما أفعال الكلام تركز على الفعل والتأثير، إضافة إلى اختلاف (المنهج) بينهما، ففي الأول عقلي فرضي، فيما المنهج في الثاني ذو طابع سياقي وظيفي.

المصادر والمراجع

- أساسيات اللغة : ر. ل . تراسك، ترجمة : رانيا إبراهيم يوسف ، ط١، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٢م.
- الألسنية العربية : ريمون طحان ، ط١، دار الكتاب اللبناني ، بيروت،١٩٧٢م.
- انفتاح النسق اللساني ، دراسة في التداخل الاختصاصي : د. محيي الدين محسب ، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠٠٨م.
- أهم المدارس اللسانية : عبد القادر المهيري وآخرون ، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية ، تونس ، ١٩٩٠ م.
- التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد : صلاح إسماعيل عبد الحق ، ط١، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت ، ١٩٩٣م .
- التداولية عند العلماء العرب ، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي: د. مسعود صحراوي ، ط١ ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت، ٢٠٠٥م.
- التداولية والسرد : جون _ ك آدمز ، ترجمة : د. خالد سهر ، ط١ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ٢٠٠٩م .
- جومسكي : جون لاينز ، ترجمة : بيداء علي العبيدي ، نغم قحطان العزاوي، مراجعة: د٠سلمان داود الواسطي ، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ،٢٠٠١م.
- الحجاج في البلاغة العربية المعاصرة : د.محمد سالم محمد الأمين الطلبة ، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، ٢٠٠٨م .
- دراسات في تحليل الخطاب غير الأدبي : د.بشير إبرير ، ط١ ، عالم الكتب الحديث، إربد – الأردن ، ٢٠١٠م .

- شظايا لسانية: د. مجيد الماشطة، ط١، دار السياب للطباعة والنشر والتوزيع، لندن، ٢٠٠٨م.
- العقل واللغة والمجتمع ، الفلسفة في العالم الواقعي : جون سيرل، ترجمة : سعيد الغانمي، ط١ ، منشورات الاختلاف ، الدار العربية للعلوم ، بيروت، ٢٠٠٦م .
- علم لغة النص ، المفاهيم والاتجاهات : د. سعيد حسن بحيري ، ط٢ ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠١٠م .
- فعل القول من الذاتية في اللغة : ك - أوريكيوني ، ترجمة : محمد نظيف، أفريقيا الشرق ، المغرب ، ٢٠٠٧م .
- الفلسفة وقضايا اللغة ، قراءة في التصور التحليلي : بشير خليفي، ط١ ، منشورات الاختلاف ، الدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠١٠م .
- فهم اللغة ، نحو علم لغة لما بعد مرحلة تشومسكي : تيونيس مور وكريستين كارلنغ، ترجمة : د.حامد حسين الحجاج ، مراجعة : د.سلمان داود الواسطي ، ط١ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٨م.
- في اللسانيات العامة : د.مصطفى غلفان ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت، ٢٠١٠ م .
- في نحو اللغة وتراكيبها ، منهج وتطبيق : د.خليل أحمد عمايرة ، ط١ ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، جدة ، ١٩٨٤م .
- قضايا إبستمولوجية في اللسانيات : حافظ اسماعيلي علوي ، امحمد الملاخ ، ط١ ، منشورات الاختلاف ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ٢٠٠٩م .
- القضايا الأساسية في علم اللغة : كلاوس هيشن ، ترجمة : د. سعيد حسن بحيري ، ط١، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠٣م .
- قضايا في علم اللغة التطبيقي : ميشيل ماكارثي ، ترجمة : عبد الجواد توفيق محمود، ط١ ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٥م .
- اللسانيات، اتجاهاتها وقضاياها الراهنة : د.نعمان بوقرة ، ط١ ، عالم الكتاب الجديد، للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠٠٩م .
- اللسانيات والبيداغوجيا ، نموذج النحو الوظيفي ، الأسس المعرفية والديداكتيكية ، علي آيت أوشان ، ط١ ، مطبعة النجاح الجديدة ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، ١٩٨٨م.
- اللسانيات والدلالة ، الكلمة دراسة لغوية : د. منذر عياشي ، ط١ ، مركز الإنماء الحضاري ، دمشق ، ١٩٩٦م .

- المدخل إلى علم اللغة: كارل_ ديتر بونتنج، ترجمة: سعيد حسن بحيري ، ط٢، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة ، ٢٠١٠م .
- مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه : محمد الأخضر الصبيحي، ط١، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ٢٠٠٨م .
- مدخل لفهم اللسانيات : روبير مارتان ، ترجمة : د. عبد القادر المهيري ، ط١ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ٢٠٠٧م .
- المفارقة القرآنية ، دراسة في بنية الدلالة : د. محمد العبد ، ط٢ ، مكتبة الآداب، القاهرة ، ٢٠٠٦م .
- المقاربة التداولية : فرانسواز أرمينكو ، ترجمة : د. سعيد علوش مركز الإنماء القومي، الرباط ، ١٩٨٦م .
- من قضايا الفكر اللساني في النحو والدلالة واللسانية : صابر الحباشة ، ط١، دار صفحات للدراسات والنشر ، دمشق، ٢٠٠٩م .
- النحو العربي والدرس الحديث ، بحث في المنهج ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، ١٩٨٨م .
- نظرية أفعال الكلام : جون أوستن ، ترجمة : عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء ،١٩٩١م .
- نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب : طالب سيد هاشم الطبطبائي ، مطبوعات جامعة الكويت ، الكويت ، ١٩٩٤م .
- نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي الإسلامي: هشام عبد الله الخليفة ، ط١ ، مكتبة لبنان ناشرون ، ٢٠٠٧م .
- نظرية اللسانيات النسبية ، دواعي النشأة : محمد الأوراغي ، ط١ ، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ٢٠١٠م .
- نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية قي اللغة العربية: مازن الوعر، ط٢ ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ، ١٩٩٢م .

البحوث المنشورة في الدوريات :

- نحو علاقة جديدة بين اللسانيات ومناهج تحليل النص الأدبي– ملاحظات حول تحليل لغة النص - : مصطفى غلفان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد الثالث، ١٩٨٦م.